

الأصول العامة لمنهج السيوطي في تفسيره الدر المنثور

مصطفى ابراهيم المشني

قسم أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن

تاريخ تقديم البحث: ١٩٩٤/٤/٢م

تاريخ قبوله للنشر: ١٩٩٥/١/٧

ABSTRACT

The researcher started his essay with a glimpse on Al-Souyouti life and his contribution to the cultural structure of Muslim nation, and its civilized bases. The Souyouti contributions are demonstrated in a wide-range variety of works related to various branches of Arabic & Islamic Knowledge.

in this essay the general principles of Al-Souyouti methodology of explaining the Quran are made clear. These principles can be clearly noticed in his transmitted explanation of the Quran. His explanation of the Quran included: the Quran of Arabic language, principles of Faith and his objection to alien elements.

The researcher has concluded that the Souyouti transmitted explanation of the Quran, in spite of its great value, needs documentation and authentication.

ملخص

قدّم الباحث لمحة سريعة عن حياة الإمام السيوطي ترجمت إسهاماته في قواعد البنية الثقافية للأمة، وأصولها الحضارية، من خلال تصانيفه وتآليفه المتنوعة التي جمعت من العلوم العربية والإسلامية ما حفظ به كثير من الأصول والفروع التي لا يستغني عنها عالم ولا طالب علم ولا مشغل بعلوم الكتاب والسنة والعربية.

تم عرض الباحث الأصول العامة لمنهج السيوطي في تفسيره "الدر المنثور" التي تمثلت في التفسير بالمأثور - القرآن - السنة - أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم وعنايته بالأحكام الفقهية واللغة ومسائل عقدية، وموقفه من الدخيل وغير ذلك مما يعدّ أصلاً قام عليه منهجه في تفسيره.

ثم دوّن الباحث النتيجة التي جاءت محصلة دراسته، وهي أن هذا الكتاب مع ما فيه مما يحتاج إلى تحقيق وتوثيق وتنقية يعدّ ثروة علمية جمعت ما له صلة بالنص القرآني من تفسير وحديث وفقه وقراءات وأحكام وآراء نقلت عن السلف الصالح الذين شهدت لهم الأمة بالحفظ والإسناد والعدالة، فكان - هذا التفسير - بحق خزانة حفظت هذه العلوم وأسهمت في بقائها ونقلها من السلف إلى الخلف.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

يجمع المؤرخون وأصحاب التراجم الذين ترجموا لحياة الإمام السيوطي على أنه الإمام، الحافظ، المسند، المتقدم، الجامع لصنوف العلوم والمعارف، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة... في التفسير، الحديث، الفقه، اللغة، الأدب، النحو... وغيرها من العلوم التي تعد بحق ثروة ضخمة، ترجمت مدى عناية الأمة الإسلامية بالكتاب والسنة اللذين هما أساس وجودها، وعنوان شخصيتها، وأصل دوامها وبقائها.

وهذه الثروة العلمية شكلت في جملتها مكتبة، جمعت من العلوم العربية والإسلامية ما حفظ به كثير من الأصول والفروع، التي لا يستغني عنها عالم، ولا طالب علم، ولا مشغل بعلوم الكتاب والسنة والعربية.

وبهذا فقد قدم للأمة خدمة جلّ، أسهمت في قواعد بنيتها الثقافية، وأصولها الحضارية، فاستحق أن يدوّن اسمه في سجل الخالدين، والعلماء العاملين. ورغبة مني في الإشتراك في الندوة العلمية التي ندبت إليها جامعة مؤتة بمناسبة ذكرى مرور خمسمائة عام على وفاة الإمام السيوطي، أتقدم ببحثي هذا الموسوم بـ(الأصول العامة لمنهج السيوطي في تفسيره الدر المنثور) إسهاماً مني في إحياء تلك الذكرى، ووفاء لهذا الإمام، لقاء ما قدم لدينه وأمته وثقافته.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى قسمين:

الأول : تضمن ترجمة موجزة لحياة الإمام السيوطي، إسمه، نشأته العلمية، مؤلفاته، ووفاته.

الثاني : تضمن الحديث عن منهج السيوطي في تفسيره الدر المنثور، وهذا القسم يشكل الموضوع الرئيس لهذا البحث ويشمل المطالب التالية:

المطلب الأول : تعريف بتفسير الدر المنثور، والباعث على تأليفه.

الثاني : مصادر التفسير عند السيوطي في الدر المنثور.

الثالث : الثالث : التفسير بالمأثور عند السيوطي في الدر المنثور ويتضمن:

١- نظرة في مقدمة الدر المنثور، وتقديمه للسور.

٢- عنايته الفائقة بالتفسير بالمأثور: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير

الصحابة والتابعين.

الرابع : اللغة في الدر المنثور.

الخامس : عنايته بعلوم القرآن.

السادس : الأحكام الفقهية في تفسير الدر المنثور.

السابع : الإتجاه العقدي في تفسير الدر المنثور.

الثامن : الدخيل في تفسير الدر المنثور.

التاسع : الخاتمة وجعلتها في القيمة العلمية للدر المنثور وما توصلت إليه من أفكار ونتائج.

وبعد، فهذه عناصر البحث، أرجو أن أكون قد وفّقت في عرضها بأمانة وموضوعية، راجياً من الله تعالى الصواب والسداد، وهو سبحانه من وراء القصد .

القسم الأول

ترجمة موجزة لحياة الإمام السيوطي (١)

السيوطي : هو علم من أعلام الفكر الإسلامي وإمام من أئمته، طبقت شهرته الآفاق، وطارت تأليفه وتصانيفه شرقاً وغرباً، لذا فإن من نافلة القول الترجمة لحياته، إذ أنه من باب تعريف المعرف، بيد أن طبيعة البحث العلمي تقتضي هذا، ومن الأمر المحمود أن تؤتى البيوت من أبوابها: لذا فهذه لمحة سريعة عن حياة هذا العلم -لا مندوحة عنها- تشكل مدخلاً للموضوع وتوطئة له .

إنه الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر الخضير السيوطي الشافعي، ولد في القاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة هجرية (١٤٩هـ) في بيت علم وأدب، وبيئة صالحة طيبة، كان لها أثر واضح في بناء شخصيته العلمية والثقافية؛ فقد حفظ القرآن وهو دون الثامنة، وحفظ أمهات كتب الدين والعربية، وتلقى العلم على شيوخ عصره واعلامه منهم؛ الإمام شهاب الدين الشارمساحي، وعلم الدين البلقيني، وتقي الدين الشبلي، ومحي الدين الكافيجي. وقد أخذ عن هؤلاء الأئمة التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والعربية، السيوطي: حسن المحاضر ١: ٣٣٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٨: ٥٢٢، مقدمة فمحات الأقران للسيوطي بتحقيق إياد خالد ص ١١ .

مؤلفاته : إن الناظر في ترجمة السيوطي يدرك من غير ريب أن الله تعالى بارك في وقته وقلمه، فلم يدع فناً من فنون العلم والمعرفة الا كتب فيه أو صنف، وقد ذكر نفسه بأن تأليفه

بلغت ثلاثمائة سوى ما غسله ورجع عنه، وكانت في التفسير وتعلقاته والقراءات، فن الحديث وتعلقاته، فن الدعوات والإذكار، فن الفقه وتعلقاته، فن الأصول والتصوف، فن العربية وتعلقاته، وفن التاريخ والأدب حسن المحاضرة ١: ٣٣٩، حاجي خليفة، كشف الظنون ١: ٥٣٤-٤٤. وذكر ابن إياس في تاريخه إن مؤلفات السيوطي بلغت نحو ستمائة مؤلف، ولسنا بصدد التحقيق في العدد الصحيح لهذه المؤلفات، أو الوقوف على نوعيتها من حيث وصف ما كان يسميه كتاباً، فليس محله ها هنا، ولكن يمكن القول إنه ترك تراثاً ضخماً، حيث كان التأليف شغله الشاغل، وعمله الدؤوب الذي بدأه في سن مبكرة، بناء على استعداده النفسية، وقدراته وطاقاته العجيبة، حيث يصف ذلك بقوله "ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بقوتي" ويقول أيضاً "ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبدیع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة..." حسن المحاضر ١: ٣٣٩، فما بعدها، مقدمة تحقيق مفعمات الإقران ص ١٤.

وهذا تلميذه الداودي صاحب طبقات المفسرين يؤكد حقيقة ما تقدم بقوله "عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كرايس تأليفاً وتحريراً السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ ص ٦ فما بعدها.

تلاميذه: وأهمهم : الإمام شمس الدين الداودي المتوفى (٩٥٣هـ) صاحب كتاب طبقات المفسرين، وذيل طبقات الشافعية للسبكي، وترجمة للحافظ السيوطي. والمؤرخ ابن طولون الحنفي محمد بن علي المتوفى (٩٥٣هـ)، والشيخ عبدالوهاب الشعراني الإمام الفقيه الزاهد المتوفى (٩٧٣هـ)، والمؤرخ الثب محمد بن إياس صاحب "بدائع الزهور في وقائع الدهور".

وفاته: توفي الإمام السيوطي سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة، وودع رحمه الله حياة طيبة أثمرت تلك التأليف والتصانيف التي كان لها صدارة في المكتبة العربية من حيث أهميتها، التي تكمن في عددها وتنوعها العجيب الذي يخدم فروع العلوم الإسلامية والعربية وغيرها.

وقد هيا لها الله تعالى من يقوم على طباعتها، والعناية بنشرها، وإخراجها من المخطوطات إلى المطبوعات، حيث لاقت شيوعاً ورواجاً عَزَّ في غيرها. وغدت مصادر لا يستغني عنها من له عناية بتلك العلوم، وفي مقدمتها علوم القرآن وتفسيره الذي نحن بصدد الحديث عن أشهر مصنف له فيها وهو "الدر المنثور في التفسير بالمأثور".

القسم الثاني منهج السيوطي في تفسيره الدر المنثور

ويشمل مطالب تسعة كما جاءت في المقدمة:

المطلب الأول : تعريف بتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور.. والباعث على تأليفه.

يذكر الإمام السيوطي في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" إن الدر المنثور هو مختصر لتفسير له، إسمه "ترجمان القرآن" (٢) وهو تفسير مسند، جمع فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع، وموقوف، وقد تم في أربعة مجلدات السيوطي: الإتقان ٢: ١٨٢).

وقد أكد هذا في مقدمة تفسيره الدر المنثور بقوله "فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردت فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرّج منها واردات -أي طرق كثيرة- رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث، دون الإسناد وتطويله، فلخصت منه هذا المختصر، مقتصراً فيه على متن الأثر، مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر. وسمّيته بالدر المنثور في التفسير بالمأثور" السيوطي: الدر المنثور ١: ٢.

ومما تقدم يتحقق ما يلي:

أولاً : إن الدر المنثور تلخيص لكتاب ترجمان القرآن، للمؤلف نفسه، جمع فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.

ثانياً : إن الباعث على تأليف الدر المنثور - قصور الهمم عن درك تحصيله على الصورة التي ألف عليها من ذكر الأسانيد.

ثالثاً : حذف الأسانيد والإقتصار على المتون؛ ترغيباً في الإقبال عليه، وتيسيراً في تحقيق الوصول إلى المراد، من غير تطويل أو ملل، مع عزو كل رواية إلى مصدرها الذي نقلها منه.

ومما يشار إليه هنا أن السيوطي ذكر بأنه شرع في تفسير كبير سماه "مجمع البحرين ومطلع البدرين" (٣) وجعل الإتقان مقدمة له، ويصفه بأنه جامع لكل ما يحتاج إليه من التفاسير المنقولة، والأقوال المعقولة والاستنباطات والإشارات والأعريب، واللغات ونكت البلاغة، ومحاسن البدائع، وغير ذلك بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلاً الإتقان ٢: ١٩٠ غير

أنه لم يذكر هل أتمه أم لا؟

والذي يبدو لي وللوهلة الأولى أن ليس ثمة تشابه بين وصف منهج مجمع البحرين، ومنهج الدر المنثور الذي وقفت عليه من خلال هذه الدراسة؛ فالدر المنثور - وإن كانت منهجية البحث تقتضي تأخير الحكم عليه - تفسير بالمأثور فقط يقتصر على ما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف، بالرجوع إلى مصادر التفسير من الحديث وأئمة - كما سيأتي مفصلاً - دون التعرض إلى اللغة والنحو والاستنباط، والإشارات وغيرها مما جاء في وصف مجمع البحرين.

وتفسير الدر المنثور في التفسير المأثور كتاب مطبوع ومتداول فالذي بين أيدينا طبعة منسوبة لمؤسسة الرسالة في بيروت، وعلى هامشها التفسير المنسوب لابن عباس - تنوير المقباس - تقع في ستة مجلدات وأظنها صورة عن الأصل.

وطبعة أخرى منسوبة إلى دار الفكر - بيروت أيضاً في ثمانية مجلدات، وهي مرتبة، خطها واضح، وسورها مرتبة وآياتها مرقمة، وهي جيدة إلى حد ما، تيسر على الباحث الوصول إلى غايته ومراده.

وقد اعتمدت طبعة مؤسسة الرسالة في دراستي لهذا الكتاب.

المطلب الثاني : مصادر التفسير عند السيوطي في الدر المنثور.

إن المصادر التي يعتمد عليها المفسر تمثل القواعد التي يقوم عليها تفسيره، والأصول التي تشكل بنية منهجه الخاص به؛ وإذن لا بد من الحديث عن مصادر السيوطي في تفسيره هذا للوقوف على مدى اعتماده هذه المصادر، ومن ثم لقاء الضوء على مدى تأثيرها على ميوله واتجاهاته.

ولقد تقدم وصف هذا التفسير بأنه اختصار - لكتاب ترجمان القرآن - المسند الكبير - لذا فإنه يقوم على الرواية أو المأثور في كل ما دون فيه، سواء ما تعلق بتفسير القرآن بالقرآن - أعني تفسير الصحابة القرآن بالقرآن - أو بالحديث، أو ما جاء في الكتاب من لغة وأحكام فقهية ومسائل عقدية وغيرها مما قام عليه منهجه في التفسير، وسأكتفي هنا بذكر أهم مصادر الرواية التي اعتمدها في تفسيره، ومن روى عنهم من أئمة السلف مراعيًا الترتيب الزمني.

أولاً : الحديث: الإمام مالك بن أنس (١٧٩هـ)، الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ) الإمام محمد بن يزيد بن ماجه (٢٧٣هـ)، الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، الإمام أبو عيسى محمد الترمذي (٢٩٧هـ)، الإمام عبد الرحمن بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، الإمام ابن خزيمة أبو بكر محمد بن اسحق

(٢١١هـ)، الإمام أبو حاتم ممد بن حبان (٣٥٤هـ)، الإمام علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ)، الإمام سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠هـ)، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله صاحب المستدرک (٤٠٥هـ)، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، هؤلاء أعلام الحديث وأئمة الذين اعتمدتهم السيوطي في تفسيره في رواية المأثور من الحديث، غير أنه ما كان يشير إلى المصدر الذي روى منه أو أخذ عنه، على أنه التزم في مقدمة تفسيره بعزو الآثار إلى مصنفاتها، وكان يكفي بالرواية مجردة من الأسانيد، كأن يقول: روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي... وسيأتي تفصيل هذا عند موضوع الإستشهاد بالحديث - إن شاء الله.

ثانياً : الرواية عن الصحابة : اعتمد السيوطي آراء الصحابة وأقوالهم وما أثر عنهم، أساساً في تفسير الآيات القرآنية والألفاظ الكريمة، ونقل آراءهم في الأحكام الفقهية وغيرها، ومن أشهر من روى عنهم: الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وأبوموسى الأشعري وغيرهم.

ومما يلحظها هنا أنه لم يتحرر صحة الرواية عن الصحابة، ولم يتحقق من طرقها بخاصة طرق الرواية عن ابن عباس وابن مسعود، وكان همه نقل الروايات فقط بصرف النظر عن صحتها أو ضعفها، فكان يكثر الرواية عن ابن عباس من طرق السدي الكبير - اسماعيل بن عبد الرحمن - والسدي الصغير - محمد بن مروان والكلبي محمد بن السائب وهي طرق واهية ضعيفة لا يعتد بها. الإتيان: ١٨٩:٢ ويمكن الرجوع إلى الصفحات الإتيية - على سبيل المثال لا الحصر - للوقوف على المراد. ١٤٧:١، ١٥٥، ٢٣:٢، ١٥٥، ٢٤:٣، ٢٤:٤

هذا والكتاب مليء بالرواية عن الصحابة رضوان الله عليهم، فلا تخلو صفحة من الرواية عنهم أو ذكر أقوالهم والإستشهاد بأرائهم.

ينظر على سبيل المثال: ١٣:١، ١٦، ٦٨، ١٢٧، ٤٨:٢، ٨٥:٣، ٢١٦، ٢٧٤:٥، ٢٧٨، ١٠٠:٦، ١٧٨.

ثالثاً : الرواية عن التابعين - وأشهر من روى عنهم، مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبیر، وعكرمة مولى ابن عباس، وأبو العالية - رفيع بن مهران - وطاووس بن كيسان اليماني، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة السدوسي، والحسن البصري وغيرهم.

وهذا ومما تجدر الإشارة إليه إن السيوطي أكثر من الرواية عن مسلمة أهل الكتاب مثل وهب بن منبه ١: ٧٩، ٤: ٢٤، ٥: ٢٨٨، وكعب الأحبار ٢: ٢٤٧، وعبد العزيز بن جريج ١: ١٢٤ ونوفا البكالي ٣: ١١٨، ١٢٩.

رابعاً : الرواية عن تابعي التابعين، وأشهر من روى عنهم من أئمة السلف، وهؤلاء نجدهم في كل صفحة من صفحات الكتاب وأشهرهم:

- عبد بن حميد الكسبي - الكشي - ت (٢٤٩هـ) الذهبي/سير أعلام النبلاء ٣٥:١٢
- ابن أبي الدنيا : أبو بكر عبدالله بن محمد (٢٨١هـ) الذهبي/ سير ٣٧٢٢:١١
- ابن الضريس : أبو عبدالله محمد بن أيوب (٢٩٤هـ) نفس المصدر ٤٤٩:١٣
- الفريابي : أبو بكر جعفر بن محمد (٣٠١هـ) نفس المصدر ٩٦:١٤
- الطبري : محمد بن جرير (٣١٠هـ) ابن خلكان/وفيات ١٩١:٤
- ابن أبي داود : السجستاني (٣١٦هـ) الذهبي/سير ٢٢١:١٣
- ابن أبي حاتم : عبدالرحمن أبو محمد الرازي (٣٢٧هـ) نفس المصدر ٢٦٣:١٣
- أبو بكر الأنباري : محمد بن القاسم (٣٢٨هـ) نفس المصدر ٢٧٤:١٥
- أبو جعفر النحاس : أحمد بن إسماعيل (٣٣٨هـ) ابن خلكان: وفيات ٩٩:١
- أبو الشيخ محمد بن عبدالله بن جعفر: ابن حيان الأصفهاني (٣٦٩هـ) الذهبي/سير: ٢٧٦:١٦

- أبو نعيم : أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحق (٤٣١هـ) نفس المصدر ٤٥٣:١٧
- ابن مردويه : أبو بكر أحمد بن محمد (٤٩٨هـ) نفس المصدر ٢٠٧:١٩

وقد أكثر الرواية عن هؤلاء الحفاظ الأعلام في الدر المنثور، فحيثما أجال القارئ نظره وقف على أسمائهم من غير عناء ولا جهد، وأخص ابن جرير الطبري في التفسير، والفريابي، وأبا الشيخ في كتابه "العظمة"، وابن الضريس في فضائل القرآن، وابن أبي داود، والأنباري في المصاحف، وأبا جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني.

أما رواة السير والمغازي الذين روى عنهم فأشهرهم: ابن اسحق: محمد بن اسحق بن يسار المطلبي (٢١٥هـ) -الذهبي سير: ٣٣:٧، والبغدادى: الإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت (٤٦٣هـ) نفس المصدر ٢٧٠:٨ صاحب التاريخ، وابن عساكر - صاحب تاريخ دمشق - الحافظ أبو القاسم الدمشقي (٥٧١هـ) نفس المصدر: ٥٥٤:٢٠ وغيرهم ممن صنفوا في التاريخ والسير.

وبعد، فهذه مصادر السيوطي في تفسيره الدر المنثور، جاءت ممثلة للرواية والمأثور، سواء ما تعلق بالحديث أو التفسير أو الأحكام أو ما يتصل بالتفسير بعامة، مع الإشارة -أحياناً- إلى بعض المصادر المعتمدة لديه كما ذكر في مقدمة تفسيره، وقد جاءت هذه المصادر محققة لمراده وموافقة لغاياته التي كان تفسيره من أجلها.

المطلب الثالث : التفسير بالمأثور عند السيوطي في الدر المنثور.

١- نظرة في مقدمة الدر المنثور وتقديمه للسور: قدم السيوطي تفسيره - الدر المنثور - بمقدمة أوضح خلالها مصدر استمداد كتابه - وهو المسند الكبير المسمى "ترجمان القرآن" موضعاً الباعث على تأليفه، من غير إشارة أو ذكر لوصف منهج يحدد سيره ومسلكه في كتابه - عدا إشارته إلى رجوع كل أثر إلى مظانّه المعتمدة - كما تقدم -. وعلى هذا لم يجز السيوطي على سنن غيره من المفسرين (٤) الذين وضعوا مقدمات لتفاسيرهم حددت وصفاً لمنهجهم في التفسير، وكشفت طريقتهم ومواقفهم إزاء النصوص المأثورة وغيرها، وكيفية التعامل معها، والقراءات وأنواعها - واللغة... والإسرائيليات وغيرها، وما أكدوا عليه، وما ضربوا عنه صفحاً، إلى غير ذلك مما يعطي فكرة شمولية واضحة عن منهج المؤلف، والموضوعات التي تناولها في تفسيره، أو التي تكون عدة المفسر في تفسيره مثل مقدمة الإمام الطبري وابن عطية، ومن جاء بعده كالقرطبي، وابن كثير، ولعل كتابه الإتيان كفاه مؤنة مثل هذه المقدمة التي تشمل علوم القرآن وأهلية التفسير.

أما تقديمه للسور: فكان يبدأ بذكر السورة وعدد آياتها، ثم المكي والمدني معتمداً في معظم الأحيان على النحاس وابن الضريس وأبي الشيخ، ثم يقسم السورة إلى آيات (٥) من غير ترقيم، ويقسمها إلى أبعاض، مكتفياً بها عن ذكر الآية بتمامها، قائلاً: الآية "الآيتان"، "الآيات" مثال: (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) الآية: ٢٩١/١، أنظر ١٤٧:٣، ١١٧:٤ (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) الآيتان، ٢٧:١، ١٩٩:٤.

(ما كان لنبي أن يكون أسرى) الآيات ٢٠١:٣، ٢٨٧:٥.

٢- عنايته الفائقة بالتفسير المأثور:

التفسير بالمأثور يقوم على أصول ثلاثة، هي محل اجماع الأمة من غير خلاف وهي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين على تفصيل ينظر ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير ص ٤١ والناظر في تفسير السيوطي "الدر المنثور" يرى للوهلة الأولى هذه الأصول الثلاثة، فإذا تنقل عبر صفحات الكتاب أيقن هذه الحقيقة من غير ريب، كيف لا وقد جاء تفسيره معتمداً على المأثور أصلاً قام عليه منهجه.

أولاً. تفسير القرآن بالقرآن :

وهو أفضل أنواع التفسير وأحسنها؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمراده من غيره، ثم ما أجمل في موضع أو أطلق.. فصل وقيد في آخروها كذا.. وجوانب الإستشهاد بالآيات في التفسير "هنا" تنحصر في نقطة واحدة، وهي تفسير الألفاظ القرآنية والاستدلال على معانيها، بما ورد من تلك المعاني في آيات أخرى ومثال ذلك:

أ- عند تفسير قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية: ٣٧: البقرة قال: "وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن محمد بن كعب القرظي في قوله" (كلمات) قال: هو قوله (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا) وهذه الآية من الأعراف ٢٣، الدر المنثور ١: ٥٩.

ب- عند تفسير قوله تعالى (هل ينظرون الا تأويله) الأعراف ٥٣، قال: (وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله (تأويله) قال: "تحقيقه"، وقرأ (هذا تأويل رؤيائي من قبل) يوسف ١٠٠ الدر المنثور ٣: ٩٠، ينظر أيضاً: ١: ١٢٥ "وإذ قال إبراهيم رب" ١١: ٢ "والخيل المسومة" ٣٥: ٢، "فلما أحس عيسى" ١٢: ٢ وانظر ٣: ٤٢، ١٧٨.

هذه أمثلة تفسير القرآن بالقرآن، جاءت عنده بقدر بل كانت نادرة، حيث تصفحت الكتاب باجزائه الستة فلم أعث إلا على أمثلة معدودات، والذي بدا واضحاً أن عنايته كانت منصبه على التفسير بالحديث.

ثانياً. تفسير القرآن بالحديث :

يعد تفسير القرآن بالسنة النبوية الأصل الثاني بعد القرآن للتفسير بالمأثور، وعناية السيوطي بهذا التفسير تتحقق في جانبين:
الأول: منهجه في قبول الحديث وروايته.
الثاني: جوانب اهتمامه بالحديث في التفسير.

الأول: منهجه في قبول الحديث وروايته في التفسير، ويتمثل في الأمور التالية:

أ- عنايته برواية الحديث الصحيح، والاستشهاد به، والتعويل عليه، باعتباره أصلاً من أصول التفسير عنده، بل إن الرواية هي الركيزة الأساس عنده، غير أنه يستشهد بالروايات الصحيحة دون رجوعها إلى مظانها من كتب الصحاح، ولا ينبه على درجتها، أو من تفرد بها، ثم هي بلفظ من، هذا بالإضافة إلى أنه يقرن أسماء أصحاب الكتب الستة بغيرهم دون تمييز، مع أنه من الأئمة الحفاظ المشتغلين بعلم الحديث دراية ورواية، وهذا طابع عام يتسم به تفسيره، ومعظم مواضع استشهاده على هذا النسق، من ذلك على سبيل المثال: قال عند تفسير قوله تعالى (يوم يحمى عليها في نار جهنم) التوبة ٣٥ «البخاري ومسلم وأبو داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها الا جعلت له يوم القيامة صفائح، ثم أحمى عليها في نار جهنم، ثم يكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين الناس، فيرى سبيله اما إلى نار» الدر المنثور ٣: ٢٢٣ والحديث: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة، كتاب

الزكاة، باب وجوبها وإثم تاركها: ابن الأثير: جامع الأصول ٥٥٤:٤ ينظر أيضاً: عند تفسير قوله تعالى سورة الأنعام (وعنده مفاتيح الغيب) آية ٥٩ الدر المنثور ١٥:٣، ثم ٦:٣، ٢٦، ١٨٩، ١٧١:٤، ٩٥:٥، ٢٦٣، ٦٨:٦، ٧٣، ١٢٧.

هذا مثال استشهد به السيوطي لتفسير الآية الكريمة من سورة التوبة، والأمثلة كثيرة اكتفيت بواحد وأحلت الأخرى، وبه يتحقق المراد، لكن مما يلحظ أنه كان أحياناً يقدم بعض رواة الحديث على البخاري ومسلم... والذي بدا واضحاً إنه كان يراعي التسلسل الزمني في الترتيب.

ب- روايته للحديث الصحيح بروايات متعددة، زيد على بعضها زيادات ليست من الحديث الصحيح، ولا أصل لها فيه، كما أنها جاءت بغرائب لا ينبغي أن تخفى على الإمام السيوطي، على جلالة قدره وعلمه، وتمكنه من الحديث دراية ورواية، -كما تقدم- ويتجلى هذا في روايات حديث الإسراء، فقد اشتمل بعضها على زيادات عجيبة، ينبغي أن ينزه الحديث عنها، أو أن ينبه إلى ضعفها ونكارتها. فمثلاً في حديث الإسراء ج ٣ ص ١٢٧ نقل رواية أخرجها النسائي وابن مردويه من طريق يزيد بن أبي مالك عن أنس بن مالك... ذكر فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المدينة، وفي بيت لحم، وفي طور سيناء، وقد تعقبها ابن كثير، وقال: إن فيها غرابة ونكارة -ابن كثير تفسير: ٥:٣ على أنه يروي رواية في حديث الإسراء أيضاً- تحمل نكارة أشد، وعجباً عجاباً، وهي عن ابن أبي حاتم عن يزيد عن أبي مالك عن أنس... وفيها أن موسى عليه السلام من رجال "أزد عمان" وعيسى رجل ربعة سبط تلوه حمرة، كأنما ينحدر من شعره الجمان وغير ذلك... الدر المنثور ١٣٨:٤ وقد تعقبها ابن كثير وبين ما فيها من نكارة وغرابة. ابن كثير: تفسير ٧:٣ ينظر أيضاً الدر المنثور ١٤٠:٤ وابن كثير في تفسيره ٢٠:٣ فما بعدها.

ج- استشهاده بالضعيف والمنكر والمعلول دون تنبيه أو إشارة؛ همّه في ذلك حشد الروايات وكان الأولى الإكتفاء بالصحيح، وعدم الإستشهاد بالضعيف.. لا سيما وأنه من حفاظ الحديث والمتقدمين فيه، وهذا مما ينتقد بسببه. والأمثلة كثيرة جداً، والكتاب ملئ بذلك، لذا اكتفى بمثالين فقط مراعيًا قصرهما.

المثال الأول: قوله عند تفسير قوله تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله) التوبة ٣٠ (وأخرج ابن مردويه وابن عساكر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث أشك فيهن فلا أدري أعزير كان نبياً أم لا؟ ولا أدري العن تبعاً أم لا؟ قال: ونسيت الثالثة)) الدر المنثور ٢٣٠:٣ وهذا الحديث لا يحتاج إلى تعليق.

المثال الثاني: قوله عند تفسير قوله تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) يونس ٥ ((أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

تكلم ربنا بكلمتين، فصارت احدهما شمساً والاخرى قمراً، وكانا من النور جميعاً، ويعودان الى الجنة يوم القيامة)) (٦) الدر المنثور ٣:٣٠٠ وانظر ايضا ٣:٩، ١٢٠، ١٥١، ١٣٧:٤، ٣:٢:٥.

هذا، وقد وجدت السيوطي ينبه - احيانا - الى ما في السند من حسن او ضعف او غير ذلك مما يعد نقداً للسند، ومثال ذلك:

١. اخرج أحمد والطبراني في الأوسط بسند حسن عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بالسواك فانه مطيبة للفم مرضاة للرب) الدر المنثور ١:١١٤.

٢. اخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول بسند فيه مجهول عن عبدالله بن بسر رفعه: (قصوا اضفاركم وادفئوا قلاماتكم ونقوا براجمكم) نفس الجزء والصفحة ينظر ايضا ٢:٤٨، ٩١، ٣:١١٢.

د. ومما يضاف الى ما تقدم ان الامام السيوطي نهج مسلكاً غريباً في الاستشهاد بالحديث من حيث الترتيب، فكان يسوق حشداً من روايات الصحيح مستشهداً على تفسير المعاني او توضيح المراد، ثم يتبعها بحشد آخر من روايات غير الصحيح، ولا يعنيه أن تكون صحيحة، أم غير صحيحة، وينقلها دون موازنة يذكر الروايات المختلفة من غير الصحيح - من كتب السنة - ثم يتبعها بالروايات الصحيحة - وهنا يمكن ان تتحقق الفائدة ليمتيز الصحيح من غيره فضلاً عن أنه البديل، غير انه لا يلبث فيغير نهجه، فيأتي بحشد من روايات الصحيح ثم يتبعها من غير الصحيح، ثم يعطف عليها روايات من الصحيح، وهكذا ... ينظر ٢:٤٥ آية (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم) آل عمران ٧٧، وهذا خلط عجيب ما كان ليصدر على الامام السيوطي، بل كان اولى لو ذكر هذه الروايات ثم عرض لها بالنقد والتمحيص، والتحقيق، او لو انه اكتفى بالاستشهاد لكان أوثق وأوجب.

الثاني: جوانب اهتمامه بالحديث في التفسير

اما جوانب الاستعانة بالحديث الشريف والاستشهاد به في التفسير فقد تمثل في المجالات التالية:

أ. بيان معاني ألفاظ القرآن وتفسير نصوصه، وهذا أوسع المجالات التي اعتمد فيها على الحديث الشريف، والامثلة كثيرة جداً، اكتفي بما يدل على المراد مراعيّاً قصر المثال، محيلاً الاخرى الى مظانها في الكتاب.

١. قوله عند تفسير قوله تعالى (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) النساء ١٥٩ ((واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً

عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله احد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها» ثم يقول ابو هريرة: واقرأوا ان شئتم ((وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)) الدر المنثور ٢: ٢٤٢، والحديث متفق عليه، اخرجه البخاري في صحيحه/كتاب احاديث الانبياء/ باب نزول عيسى بن مريم / ابن حجر/ فتح الباري ٦: ٤٩٠.

٢. فسر البيعة في قوله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك) الفتح ١٨ بانها على الموت قال: ((واخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، قيل على اي شيء كنتم تبايعون؟ قال: على الموت)) الدر المنثور ٦: ٧٣، فما بعدها الحديث: اخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، كتاب الغزوات، غزوة الحديبية، ابن الاثير: جامع الاصول ٨: ٢٢٣ ينظر ايضا: ١: ١٧٧، ٢: ١٥٨، ١٦٥، ٦: ٣، ٣٠، ٤: ١٣٧، ٥: ١٨١، ٦: ٦٨.

ب. والمجال الثاني الذي استعان بالسنة فيه هو الاستشهاد بالحديث للدلالة على حكم شرعي او مسألة فقهية، والملاحظ هنا انه كان يسوق الحديث للدلالة على المسألة دون بيان نوع الحكم، ان كان واجبا او مندوبا او غير ذلك والامثلة كثيرة منها على سبيل المثال:

الاستشهاد على حكم الوصية: قال ((اخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما حق امرئ مسلم تمر عليه ثلاث ليال الا ووصيته عنده)) الدر المنثور ١/ ١٧٤ والحديث: في كتاب الوصية: ابن الاثير: جامع الاصول ١١: ٦٢٥ ينظر ايضا: ١: ٨٣، ١٧٨، ٢: ٥٤، ٥٦، ١٢١، ٣: ١٨٥، ٤: ٢٠٨، ٦: ٢٣٢.

هذا ومن مجالات الاستشهاد بالحديث في التفسير في الدر المنثور - ايضا - الاستشهاد في اسباب النزول والامثلة كثيرة، اكتفي بالاشارة الى مواضعها ١/ ١٤١، ٢: ١٣١، ٣: ١٣، ١٩ وغيرها.

واستشهد ايضا بالحديث في الفضائل سواء اكانت فضائل السور ام فضائل الاعمال والطاعات، ويمكن ملاحظة احاديث فضائل السور في مقدمة تفسير كل سورة من الكتاب، ومما يقال ها هنا انه روى كثيرا من احاديث الفضائل دون الاشارة او التنبيه الى الصحيح او الضعيف، ومعلوم ان الاحاديث الصحيحة الواردة في فضائل السور قليلة انظر: الزركشي: البرهان ١: ٤٣٢، واما احاديث فضائل الاعمال فسيأتي الحديث عنها تحت عنوان الاحكام الفقهية - ان شاء الله - .

ثالثا: تفسير القران بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين:

وقد جعله السيوطي أصلا قام عليه منهجه في التفسير، بل إن هذا الاصل مع الحديث

الشريف يشكلان الأساس لتفسيره، إذ أنه كما هو معلوم قام على الرواية والنقل. وتجدر الإشارة الى ان تفسير الصحابة حجة بخاصة فيما لا مجال للرأي فيه (٧)، لانهم سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهدوا اسباب النزول، ونزول الوحي، هذا بجانب فصاحتهم وسيلان اذهانهم....

وتفسير التابعين ايضا فيما ليس للرأي فيه مجال، ولا ما هو منقول عن اهل الكتاب، حجة لغلبة الظن بسماعه من الصحابة رضوان الله عليهم، او لاجماعهم عليه.

هذا، وإذا انتقلنا الى الدر المنثور، وتجولنا عبر صفحاته، نجد آراء الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن اشرنا اليهم، وكانوا اعلاما هادية، وائمة حفاظاً في التفسير والحديث، نجد آراء هؤلاء واقوالهم حقيقة ماثلة، عكست مدى عناية السيوطي الفائقة بتدوين تلك الآراء واعتمادها، بل انه ليهيأ لنا انه ما ترك شيئاً مما روى عنهم في ذلك المقام الا ذكره، مع القاء العهدة على غيره من حيث التحقق صحة وضعفا، قبولاً أو رداً ازاء كل ما رواه، - كما هو ديدنه

واني لا ارى حاجة الى الامثلة ها هنا كي ابرهن من خلالها صدق مقولتي هذه، فان كل صفحة في الكتاب تنطق بهذه الحقيقة فضلاً عن ان المقام لا يتسع لافراد كل صحابي وتابعي وغيرهم بمثال مستقل.

وبعد، فهذا موقف السيوطي من التفسير بالمأثور ممثلاً بأصوله الثلاثة، وافياً جامعاً لاطرافه وجوانبه، وان تفاوت احياناً من حيث الأدلة والامثلة وهو - المأثور والرواية - الطابع المميز الذي تفرد به الكتاب، وفي ضوء هذه الحقيقة فقد جاء الكتاب خلواً من التفسير بالرأي (٨)، عدا ما روي منقولاً من آراء الصحابة والتابعين.

هذا وان كان لنا كلمة تقال في ختام هذا المطلب فانما تتلخص في ان الامام السيوطي على جلالة قدره، وسعة علمه وثقافته في التفسير والحديث دراية ورواية ما كان ليتمثل دور الناقل الجامع وحسب، بل ان ما يتناسب وجلالة علمه وقدره ان يقف موقف الناقد البصير، المدقق المحصن لكل ما جمع واوعى من الروايات والنقول، بحيث تبرز سمات شخصيته العلمية المحيطة بفروع العربية والعلوم الاسلامية، وبالتالي يقدم لنا مادة علمية نقية خالصة من كل الشوائب جدرة بالاتباع والالتزام، بخاصة ان الموضوع غاية في الخطورة لان له صلة وثيقة بأصلين قام عليهما الدين وارتبط وجود الامة وبقاؤها بهما، وهما الكتاب والسنة.

المطلب الرابع: اللغة في تفسير الدر المنثور.

ان اللغة العربية هي الوسيلة لتعلم القرآن وفهمه، والوقوف على معانيه ومراميهِ ومعرفة احكامه العقديّة والتشريعية، واذا كانت الحاجة ماسة لتعلمها بغية فهم القرآن ومعرفة

احكامه؛ فانها تكون امس عند الاقدام على تفسير القرآن، على اعتبار انه - التفسير - مهمة خطيرة، توضح الاحكام التي تحقق سعادة الانسان في معاشه ومعاده، ثم ان الانحراف عن الحق تقوّل على الله بغير علم قد يخرج الانسان عن الملة، يقول مجاهد رضي الله عنه: ((لا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يتكلم في كتاب الله اذا لم يكن عالماً بلغات العرب)) الزركشي: البرهان ١: ٢٩٢.

واذا كنا بصدد الحديث عن مدى عناية السيوطي باللغة في تفسير الدر المنثور فاننا نستطيع القول بان هذه العناية كانت نادرة، ومرجع هذا الى ان طابع الكتاب هو الرواية والنقل، لذا فان ماله صلة باللغة من حيث الاشتقاق، واللغات، والإعراب، والبلاغة... وغير ذلك لا حاجة له في هذا التفسير، عدا ما لا ينفك الا به وما يستعان به على توضيحه، لذا فقد انصبت عنايته على المعاني فقط، وبيان مدلولات الالفاظ، بالرواية والنقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح.

ولدى قراءتي للكتاب استطيع تدوين اهم ما له صلة باللغة مما توصلت اليه فيما يلي:

١. عنايته بالمعاني - وقد انحصرت في استعراض الآراء والاقوال المختلفة في معاني اللفظ القرآني عن طريق الرواية وما أثر من الحديث، واقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، دون التعرض لاصل اللفظ ودلالاته المختلفة واشتقاقه، ووجوه إعرابه، وما فيه من بلاغة وغير ذلك، تاركا هذه الروايات والآراء من غير توجيه او مناقشة او ترجيح، وهذا يعني بالضرورة قبول هذه الآراء او الاكتفاء بالرواية والنقل فقط.

وامثلة هذا كثيرة جداً لا تكلف الباحث او القارئ عناء او مشقة؛ لذا اكتفي بواحد منها ثم أحيل الاخرى الى مظانها في الكتاب. عند تفسير قوله تعالى (وعلى الاعراف رجال) الاعراف ٤٦، ذكر الروايات الواردة في معاني لفظ الاعراف فقال: ((اخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن حذيفة قال: (الاعراف) سور بين الجنة والنار، وفي رواية... عن ابن عباس قال: الاعراف: هو الشيء المشرف، وفي رواية الفريابي... عن ابن عباس ايضا: سور له عرف كعرف الديك، وفي رواية عن هناد وعبد بن حميد... عن مجاهد: حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. وفي رواية ابن المنذر... عن سعيد بن جبير: جبال بين الجنة والنار فهم على أعرافها... وقال ابن لهيعة: واد عميق خلف جبل مرتفع، وفي رواية ابن ابي حاتم عن ابن جريج قال: زعموا انه الصراط...)) وهناك روايات اخرى اغفلتها لانها تحمل نفس المعاني الدر المنثور ٨٦: ٣. وهكذا يذكر السيوطي المعاني المتعددة للفظ الاعراف مروية عن اصحابها دون تعليق او تعقيب او توجيه او ترجيح، ينظر ايضا ١: ٥٣، ١٠٣، ٨٧: ٣، ٣٠٠: ٤.

٢. الاستشهاد بالشعر، وظاهرة الاستشهاد بالشعر - في الدر المنثور - تبدو واضحة يتصدرها جانب العناية ببيان غريب الفاظ القرآن ومشكله، بل انها تكاد تنحصر في هذا الغرض.

وعمدته من الشعر في كتابه - هنا - ما جاء في مسائل ابن الأزرق عن ابن عباس، ومعلوم أن هذه المسائل نقلها السيوطي بتمامها في كتاب الاتقان ١: ١٢٠ تحت فصل الاحتجاج بالشعر على غريب القرآن ومشكله. ومواضع الاستشهاد بالشعر مبثوثة في صفحات (الدر المنثور) يستطيع الباحث أو القاريء الوقوف عليها أثناء تقليب صفحات الكتاب، وإدراك مراده من غير عناء. فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر؛

توضيح معنى لفظ ((خَلَقَ)) في قوله تعالى (ما له في الآخرة من خَلَقٍ) البقرة ١٠٢، قال: أخبرني عن قوله تعالى (ما له في الآخرة من خَلَقٍ) قال: من نصيب قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم، أما سمعت أمية بن الصلت وهو يقول:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم
إلا سراييل من قَطِرٍ واغلال

الدر المنثور ١: ١٠٣، وانظر أيضاً: ١: ٢٠٥، ٢: ٦٧، ٣: ١٦٣، ٣: ٣٢، ١: ١٢٧، ٤: ٣٥١، ٤: ٨٨، ٣٢٥، ٥: ١٠٤ و ٢٢٣ و ٦: ١٥، ٤٨ و ٢٨١.

هذا هو الغرض الأساس الذي جاء الاحتجاج بالشعر من أجله، وهو ما ينفك اللفظ به - كما تقدم - أو لبيان غريب القرآن وتفسير مشكله. غير أنني عثرت على آيات من الشعر جاءت في أغراض أخرى وهي قليلة جداً - مثل الزهد والمواعظ والحكم - ١: ٢٥، ٣: ١٩٩ وفي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم برواية ابن سعد عن البراء بن عازب قال ابن رواحة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثبّت الله ما أعطاك من حسن
تثبّيت موسى ونصراً مثل ما نصراً

الدر المنثور ٥: ١٠٠.

وفي الوصف ٣: ٢٤١، والرتاء ٦: ١٠٥ وشعر الحرب ٣: ١٨٤، ١٩٣، وغيرها ٥: ٢٥٧، ٦: ٣٢، ٣٩٤.

المطلب الخامس: عنايته بعلوم القرآن

إن موضوعات علوم القرآن التي عرض لها السيوطي في تفسيره، لم تكن مقصورة لذاتها، بل جاءت لتحقيق غايته وهدفه في التفسير، وقد كفاه كتابه الاتقان في علوم القرآن مؤنة الحديث عن هذه العلوم، فهو أوفى مرجع في هذا العلم كما يقول استاذنا المرحوم أبو شهبه: ٤١: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ولقد تتبعت هذه الموضوعات فوجدتها تتحصر فيما يلي: فضائل السور، نزول القرآن الكريم، بعض صور الوحي، المكي والمدني، أول ما نزل وآخر ما نزل، وجمع القرآن وترتيب سوره كما جاءت في المصاحف، وعرض أيضاً لأسباب النزول والقراءات والنسخ. هذا وسأكتفي بمثال لكل موضوع، ذاكرة ما يحتاج إلى تعقيب في مكانه مراعيًا الاختصار والاحالة:

١. فضائل السور: وقد روى لمعظم سور القرآن الكريم، ان لم يكن كلها، لذا جاء كتابه مليئاً بالضعيف والموضوع، لان اغلب ما روي في فضائل السور لا ينهض دليل على صحته، وقد فصل ابن العربي القول في هذا الموضوع، ابن العربي: احكام القرآن ١: ٧، الزركشي: البرهان ١: ٤٣٢. ومما رواه من الصحيح في الفضائل ما ورد في سورة البقرة وآل عمران، قال عند مطلع تفسير سورة البقرة: ((اخرج احمد والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي ومحمد بن نصر عن نواس بن سمعان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى القرآن واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، قال: كانهما غمامتان او كانهما غبابتان او كانهما ظلتان سوداوان)) الدر المنثور ١: ١٨، الحديث: اخرجه الامام مسلم عن نواس بن سمعان كتاب فضائل الفاتحة والبقرة ٦: ٩٠، ٩١، ينظر ايضا مطالع السور في تفسير الدر المنثور.

٢. وفي نزول القرآن: ذكر تنزلات القرآن - فقال: ((ذكر ابن عباس برواية ابن ابي حاتم نزل القرآن الكريم جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ، الى السفارة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فتجمته السفارة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة)) (الدر المنثور ٤: ٢٠٥، ١: ١٨٩).

٣. وعرض لبعض صور الوحي وكيفية نزوله - فذكر انه كان ينزل له صوت كدوي النحل ٥: ٢.

٤ - المكي والمدني في السور والآيات: وكان يذكره في مطلع كل سورة غالباً، ولكن كان يكتفي بالرواية دون تحقيق، فذكر - على سبيل المثال - ان آية الانفال (٣٠) ((واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك...)) انها مكية، والتحقيق يفيد ان هذه الآية مدنية، وهي تذكير بموقف المشركين بمكة، وقد وقع هذا التذكير بعد ان قدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ليظهر له مدى عنايته به انظر الدر المنثور ٣: ١٧٩، وتحقيقها عند ابن كثير ٢: ٣٠٢ فما بعدها وما نقله في آية الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاؤون) ٢٢٤، من انها مدنية نزلت في شعراء الانصار - الدر المنثور ٥/ ٩٩، ابن كثير/تفسير ٣: ٣٥٤.

٥. وذكر روايات اول ما نزل من القرآن، وآخر ما نزل مطلقاً، فذكر الروايات المتعددة في اول ما نزل، العلق، المدثر...، من غير تعقيب او ترجيح او توجيه، الدر المنثور ٦: ٣٦٨، ٢٨٠ والصحيح ان اول ما نزل صدر سورة العلق انظر الزرقاني: مناهل العرفان ١: ٨٦ وقد صنع في الروايات الواردة في آخر ما نزل صنيعه في روايات اول ما نزل انظر الدر المنثور ١: ٣٦٥، ٣٧٠، ٢: ٢٥١، ٢٥٧، والراجع في آخر ما نزل من القرآن اية البقرة (واقتوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) ٢٨١، واما الروايات الاخرى فهي آخر ما نزل مقيداً بموضوعه انظر الزرقاني: مناهل العرفان ١: ٩٠.

٦. وروى ما ورد في جمع القرآن بخاصة زمن عثمان رضي الله عنه، وسبب الجمع وكيفية

النسخ ورسمه، وترتيب السور كما جاءت في المصحف واسامي السور، ينظر الدر المنثور: ٣١٦: ١، فما بعدها، ٢٠٧: ٣، ٢٠٨.

٧. وعرض لاسباب النزول في الآيات القرآنية التي لها سبب، وكان يروي الروايات المتعددة مجردة من إسنادها، دون ذكر مصدرها من كتب الحديث أو اسباب النزول، في غالب الاحيان. والامثلة كثيرة، اكتفي بواحد منها ثم احيل الاخرى:

. ذكر سبب نزول قوله تعالى (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم) البقرة: ١٨٧ فقال: (واخرج البخاري عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، فكان رجال يخونون انفسهم، فانزل الله (علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم) الدر المنثور ١٩٧: ٣، الحديث: اخرجه البخاري عن البراء /كتاب التفسير باب/ احل لكم ليلة الصيام... ابن حجر: فتح الباري/ ١٨١: ٨ ومما يلحظ ها هنا انه كان يأتي بروايات اسباب النزول من الصحيح من غير الصحيح و من غير تحقيق او توجيه او ترجيح. انظر اسباب النزول ايضا: ١٤١: ١، ٢٤: ٢، ٧٠، ١١٨، ١٣: ٣، ١٨٠، ١٩: ٥، ٢٢، ١٧٩: ٦.

٨. ومن الموضوعات التي عرض لها السيوطي في تفسيره القراءات، ومنهجه يتخلص فيما يلي: أ. رواية القراءات المختلفة في اللفظ القرآني بالاسناد الى الصحابة دون الاشارة أو التنبية الى انها صحيحة، متواترة، شاذة، سبعية أو ما الى ذلك مما هو معلوم في القراءات. ب. رواية القراءات الواردة في اللفظ القرآني وتوجيهها على المعاني احيانا.

ج. الاكثار من رواية القراءات المدرجة، وهو نوع من القراءات لا يعتد بها، وليست قرآنا، ولا يقرأ بها في الصلاة، ولا يتعبد بتلاوتها، وانما هي ادرجت في القراءات على وجه التفسير. مثال الاول والثاني: عند تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) الفاتحة: ٦ روى القراءات الواردة في لفظ ((الصراط)): فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها ((الصراط)) بالصاد، وفي رواية... عن حمزة قرأ (الزراط) بالزاي. الدر المنثور ١٤: ١ ينظر ١٠٤: ١، ١٧٨، ٥٤: ٢، ١١٧، ٣٨: ٣، ٧٦، ١٢: ٤، ١٥، ٣٥: ٦، ١٦٣.

مثال المدرج: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) آل عمران: ٣٩ قال عند تفسير هذه الآية: "اخرج ابن جرير عن عبدالرحمن عن ابي حماد قال: في قراءة ابن مسعود (فناداه جبريل)" الدر المنثور ٢١: ٢.

وعند تفسير قوله تعالى (وآتيتم اجداهن قنطارا) النساء ٢٠، قال (... وكذلك هي في قراءة ابن مسعود وآتيتم اجداهن قنطاراً من ذهب) نفس المصدر ١٣٣: ٢، ينظر ايضا ٢٥٧: ٢، ٢٨٠، ١٣٥: ٦، ١٦٣.

هذا هو منهج السيوطي في القراءات من واقع تفسيره، كان يعزو القراءة لقارئها من

الصحابة او يروي عن سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحقيق او ذكر بان هذه قراءة الجمهور، او متواترة او صحيحة او شاذة او مدرجة - كما تقدم - حيث اكتفى بالرواية فقط وترك القاريء دون رجعة او وقفة على الصحيح.

على انه - ايضا - لم يذكر ما يترتب على القراءات من احكام مثل قراءة (يطهّرن) بالتشديد في آية البقرة ٢٢٢ انظر الدر المنثور: ١: ٢٦٠.

٩. النسخ: وهو رفع حكم شرعي بدليل شرعي متراخ - لقد عرض السيوطي لموضوع النسخ في القرآن فذكر ادلته واهميته والعناية به، وذكر كثيرا من امثلة الناسخ والمنسوخ - وهي كثيرة منها:

نسخ القبلة: قال عند تفسير قوله تعالى (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) البقرة ١٤٢: ((اخرج ابو داود في ناسخه من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: اول اية نسخت من القرآن القبلة ثم الصلاة الاولى)) الدر: ١: ١٤٢: فما بعدها وانظر ١٨١، ١٤٣، ٥٩: ٢، ١٢٣، ٢٥٤. ومما يلحظ ها هنا:

اولا: كان مصدره في الناسخ والمنسوخ الرواية والنقل، ومن كتب الناسخ والمنسوخ للنحاس، والمصاحف لابن ابي داود.

ثانيا: كان يروي الناسخ والمنسوخ دون تحقيق او نقد، او ترجيح او توجيه من ذلك مثلا: قال: ((اخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس في قوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) الانعام ٦٩، مكية نسخت بالمدينة بقوله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهز بها فلا تقعدوا معهم) النساء ١٤٠ أدر المنثور ٣: ٢١. والحقيقة ان الثانية ليست ناسخة للاولى بل مؤكدة، قال مقاتل: والاية الثانية تأكيد لما في الاولى ابن كثير ٢: ١٤٤ وانظر في هذا المقام الدر المنثور: ٣: ١٦١، ٢٩٢.

المطلب السادس: الاحكام الفقهية في تفسير الدر المنثور.

ويتلخص منهج السيوطي ها هنا في عرض الاحكام الفقهية التي تضمنتها الايات القرآنية من خلال الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف، من غير تحقيق او مقارنة او مناقشة او ترجيح او غير ذلك مما هو متبع في كتب تفسير الاحكام، والامثلة كثيرة وطويلة اكتفي بواحد مراعىا القصر:

عند تفسير قوله تعالى: (فان أحصرتم فما استيسر من الهدي) البقرة ١٩٦ نقل السيوطي الاثار والاقوال في حكم المحصر في الحج والعمرة، وهو الذي يحبس ويمنع عن اتمام مناسك الحج بمرض او عدو، ماذا يلزمه؟ فقال: ((اخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس (فان احصرتم) ثم يقول: من احرم بحج او عمرة ثم حبس عن البيت بمرض يجهد او عدو يحبسه

فعليه ذبح ما استيسر من الهدى، شاة فما فوقها، فإن كانت حجة الاسلام فعليه قضاؤها، وإن كانت بعد حجة الفريضة فلا قضاء عليه)) الدر المنثور ١/٢١٢.

هذا ومما يلحظ في هذا المقام ان السيوطي كان يكتفي بالرواية دون مناقشة او مقارنة او ترجيح، حتى في الموضوعات الفقهية الدقيقة الهامة التي كانت مثار جدل بين مذاهب الفقه الاسلامي، ومنها على وجه الخصوص مسألة (نكاح المتعة)... فقد اكتفى بنقل الروايات الواردة في الاباحة والتحریم دون تعقيب او مناقشة او ترجيح. كما تقدم. حيث ترك القارئ في حيرة من غير توضيح الحكم الفصل في هذه المسألة انظر الدر المنثور ٢: ١٤٠٠ ينظر في مجال الاحكام الفقهية الامثلة التالية:

٨٤:١، ١٦٠، ١٧٨، ٥٤:٢، ١٦٧، ١٨٩، ٣١٤، ٤٢:٣، ١٠١، ١٨٥، ١٧٦:٤، ٣٥٦، ٥:٥، ٢٣، ١٨٠:٦ فما بعدها، ٢٢٩، ٣٣٧.

ومما يشار اليه. ايضا. انه كان يتبع الاحكام والمسائل الفقهية أحاديث وآثار فضائل الاعمال والطاعات، وآثار الترهيب من المعاصي والمحرمات، وبهذا يوجد في النفس الانسانية الوازع والدافع نحو العمل الصالح، والبعد عن محظورات الاعمال والمهلكات، وهذه الآثار وان جاءت تامة في بابها، موفية لغرضها وهدفها؛ الا انها تفتقر الى التحقيق والتوثيق.

ينظر فضائل العبادات: الصلاة ١: ١٥٧، الصيام ١: ١٧٩، الدعاء: ١: ١٩٥، الذكر: ١: ١١٠، الصدقة: ٢: ٥٠٠، الاستغفار ٢: ٧٧، الجهاد: ١: ٢٤٨، بر الوالدين ٤: ١٧٦، ١٧٠، الترهيب من الربا: ١: ٣٦٤، الكبر والخيلاء ٢: ١٦١.

المطلب السابع: الاتجاه العقدي في تفسير المنثور

عرض السيوطي في الدر المنثور لمباحث عقدية؛ دلت في جملتها على انه ما كان يُعنى ببيان وجهته. في المباحث. التي تتحدد عقيدته في ضوئها (٩) وانما كان تبعاً فيها لغيره من أئمة السلف وأهل الأثر، ومما يؤكد هذا ما نقله في تفسير "الاستواء" من قوله تعالى (.... ثم استوى على العرش) الاعراف ٥٤ "عن ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها برواية ابن مردويه، وعن ربيعة برواية اللالكائي، وعن الامام مالك بن انس برواية اللالكائي ايضا: ان الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، الايمان به واجب، والجحود به كفر، والسؤال عنه بدعة". ينظر الدر المنثور ٣: ٩١، ومما يزيد الامر تأكيداً اننا نجده في موضع آخر يسوق روايات وآثاراً تحمل في طياتها تعنيفاً ونعياً على التأويل والمتأولة. انظر. تفسير قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله...) آل عمران: ٧، الدر المنثور ٢: ٧٠ فما بعدها.

وهكذا نجد السيوطي ينقل الروايات الكثيرة التي تدل جميعها على عدم قبول التأويل في

الصفات، غير اننا نجده في موضع آخر ينقل روايات تدل على قبول التأويل مما يؤكد حقيقة تبعيته لغيره في هذه المسألة - كما تقدم ..

قال عند تفسير قوله تعالى (ثم استوى الى السماء...) البقرة ٢٩ (اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي عن ابي العالية في قوله (ثم استوى الى السماء) قال: ارتفع)) الدر المنثور ١: ٤٣، وعند تفسير قوله تعالى (والسما بنيانها بأيدينا ولنا لموسعون) الذاريات ٤٧ قال: اخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (بنيانها بأيدي) يعني بقوة)) الدر المنثور ٦: ١١٥ وانظر تفسير المتشابه على سبيل المثال - المص - الدر ٣: ٦٧، ٢٩٩، ٤: ٢٨٥.

هذا ومن المسائل العقدية التي عرض لها من خلال تفسيره إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة وجوازها في الدنيا، خلافا لمن قال باستحالتها في الدنيا والآخرة، نقل عند تفسير قوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) الانعام ١٠٣ روايات كثيرة منها:((واخرج ابو الشيخ والبيهقي في كتاب الرؤية عن الحسن في قوله "لا تدركه الابصار" قال في الدنيا، وقال الحسن: يراه اهل الجنة في الجنة يقول تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال: ينظرون الى وجه الله. وهكذا... الدر المنثور ٣: ٣٧، ١٨، ٣٠٥، ٦: ١٢٤، ٢٩٠.

ومن المسائل العقدية التي سجلها في تفسيره رده على من قال بخلق القرآن والافعال الدر المنثور ٦: ٢٠٣، وأثبت عصمة الانبياء ٣: ٢٤٢.

المطلب الثامن: الدخيل في تفسير الدر المنثور

الدخيل: هو كل ما تسرب الى التفسير مما لا أصل له في الدين، ويشمل الاسرائيليات - من اصل يهودي او نصراني - والاحاديث الضعيفة والموضوعة والرأي الفاسد د. ابراهيم خليفة: الدخيل في التفسير ١: ٢٢٠ فما بعدها والدر المنثور مليء بالدخيل سواء ما تعلق بالحديث الضعيف والموضوع او القصص والاسرائيليات، وقد سبق الحديث عن الضعيف والموضوع في مطلب الاستشهاد بالمأثور بما اغنى عنه ها هنا، اما الاسرائيليات فالحق يقال ان الكتاب مليء بها - وبالعجائب والغرائب التي ينبغي ان ينزه تفسير كتاب الله عنها، وكانت في موضوعات مختلفة مثل، البدء والتكوين وصفات المخلوقات: الجنة والنار، واهلهما، والمائدة المنزلة على عيسى عليه السلام، وهاروت وماروت... وغيرها، وما نقل عن الانبياء من قصص وروايات ساقطة لا ينهض عليها دليل، بل ينبغي ان ينزهوا عنها في ضوء ما اتصفوا به من الخصائص والصفات وأهمها العصمة.

ويمكن تلخيص منهجه في قبولها - بانه كان يرويها بسندها عمن وصلته، دون تعقيب او مناقشة او رد او إبطال، مع انها ظاهرة البطلان داحضة، وكان اعتماده في معظم الروايات

على مسلمة اهل الكتاب مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبدالعزیز بن جریج .
وأمثلة الاسرائيليات كثيرة . كما اسلفت . اختار مثالا قصيرا ادل به ، ثم احيل الاخرى الى
مظانها في الكتاب .

عند تفسير قوله تعالى (ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات) البقرة ٢٩ قال :
((اخرج ابو الشيخ عن سلمان الفارسي قال : السماء الدنيا من زمردة خضراء واسمها رقيعاء ،
والثانية من فضة بيضاء ، واسمها ازقلون ، والثالثة من ياقوتة حمراء واسمها قيدوم ، والرابعة
من درة بيضاء واسمها ماعونا ، والخامسة من ذهبية حمراء واسمها ريقا ، والسادسة من ياقوتة
صفراء واسمها دقناء ، والسابعة من نور واسمها عربيا)) الدر المنثور ٤٤: ١

وفي وصف عرش الرحمن عن وهب بن منبه برواية ابن ابي حاتم : ان الله خلق العرش
والكرسي من نوره ، فالعرش ملتصق بالكرسي ، والملائكة في جوف الكرسي ، وحول العرش اربعة
انهار ؛ نهر من نور يتلأأ ، ونهر من نار تتلظى ، ونهر من ثلج ابيض تلتمع منه الابصار ، ونهر من
ماء ، ... وللعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم ، فهو يسبح الله ويذكره بتلك الالسنه . الدر
المنثور ٢٩٧: ٣ انظر ايضا ٤٠: ١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٣١٧ ، ٢: ١٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
١٥: ٣ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ١٥٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢٧ ، ٥: ٤ ، ١٣ ، ٢٣ ، ٦٠ ، ١٦١ ، ٣٦٦ ، ١٠٣: ٥ ، ١١١ ، ٣٠١ ، ٢٤٧: ٦ ،
٣٩٥ ، ٣٢٩

المطلب التاسع: الخاتمة: القيمة العلمية للدر المنثور وما توصلت اليه من افكار ونتائج.

وبعد ، فهذه الاصول العامة لمنهج السيوطي في كتابه الدر المنثور ، وقفت عليها من خلال
البحث المنهجي في هذا المؤلف معززاً ما توصلت اليه بالامثلة من واقع التفسير ، ليتحقق
التوافق بين النظرية والتطبيق ، وقد جاءت هذه الاصول تعبيراً واضحاً عن مدى عناية
السيوطي بالمأثور من القرآن والسنة وعلم السلف الصالح مما روي في التفسير والحديث وما
له صلة بالنص القرآني .

ولعل ما نزع اليه السيوطي في الدر المنثور ، وهو من اعيان المائة العاشرة وبعد ان تقلب
التفسير في مراحل مختلفة ، واكتسى الوانا متباينة كاللغة والنحو والبلاغة والفقه والكلام
 وغير ذلك ... لعل هذا - ما نزع اليه - جاء تجسيدا واضحا لحقيقة ان العمدة في التفسير انما
 هو المأثور من الصحيح باصوله وابعاده ، وهو القول الفصل ، صاحب الصدارة ، بحيث لا يلتفت
 لغيره مع وجوده - بل هو الصرح المنيف - الذي يبقى مهوى الافئدة وطلاب الحق في عصر
 اختلاف الاتجاهات والنزعات والمذاهب ، من هنا جاءت القيمة العلمية لهذا التفسير مع ما
 حمل مما ينبغي لفظه ، والتخلي عنه ، والبراءة من كونه له صلة بالتفسير والحديث .

وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا تلخيص القيمة العلمية للكتاب فيما يلي :

اولا : ان السيوطي نقل لنا ثروة علمية - من خلال الدر المنثور - في التفسير وعلوم السنة النبوية

والفقه... وغيرها مما جاء عن الصحابة والتابعين، وتابعيهم من السلف الصالح، الذين شهدت لهم الامة بالحفظ والاسناد والعدالة، وهذا الكتاب يعد خزانة حفظت هذه العلوم، واسهمت في بقائها وعدم درسها، ونقلها من السلف الى الخلف.

ثانيا: ان نقل السيوطي عن الائمة من السلف الصالح قد نبه بالضرورة الى مزيد من العناية بهؤلاء الأعلام، والوقوف على تراجمهم ومصنفاتهم وما نقل عنهم، وهذه العناية تفتح آفاقاً من الطموحات العلمية امام الباحثين والمشتغلين بالعلوم الشرعية، تسهم في اثراء المكتبة الاسلامية بخاصة والمعرفة الانسانية بعامة.

ثالثا: ان السيوطي بروايته وجمعه بين الصحيح والسقيم والضعيف والعليل من الآثار والخبار والقصاص - كما سبق ذكره - قدم خدمة للصحيح من المأثور؛ ضرورة ان هذا يقتضي الدافعية نحو التحقيق والتوثيق والنقد والتمييز، وبالتالي يعرف الصحيح من السقيم، ويميز الاصيل من الدخيل، والحق من الباطل، ثم انه بالقائه العهدة على غيره فتح مجالات البحث العلمي التي تسهم في حفظ السنة والآثار خالصة نقية جديرة بالالتزام والاتباع، وتنبه الى غير ذلك مما هو حري بالمخالفة والاجتباب. تلك هي اهم مآثر هذا الكتاب، اما ما يؤخذ عليه فاهمه:

١. عدم الترتيب والتبويب في السور والآيات وترقيمها، واغفال الترقيم من النقاط والفواصل وما الى ذلك مما يبدو ان الكتاب جملة واحدة.
٢. الاكتفاء بالنقل والرواية والخلط بين الصحيح والضعيف... دون تحقيق او نقد او موازنة او ترجيح، وبهذا لم يكن للشخصية العلمية وجود سوى النقل مع ان السيوطي يرحمه الله من المتقدمين في علم الحديث والتفسير والعربية - كما سلف..
٣. كثرة الدخيل والاسرائيليات والغرائب من الاخبار التي ينبغي ان ينزه التفسير عنها.
٤. كثرة الاستطرادات التي ليس لها صلة بالتفسير - مثل الحديث عن ابتلاءات ابراهيم عليه السلام ١١٧: ١١٢: ١ وصفات الحجر الاسود ومكانه وحملته ١٣٧: ١٣٥: ١ ونبذ من حكم عيسى عليه السلام ٣٢: ٢٦: ٢، وانواع الخيل ١٩٨: ٣.
٥. ومما يؤخذ عليه وينتقد بسببه إثباته في نهاية تفسيره الدر المنثور ما سمّاه (سورتي الخلع والحفد) وقد اوهم انهما من القرآن، ولم يقل احد بذلك، فكان بدعاً من بين المفسرين، ومخالفا لكل المفسرين، على ان هذا الرأي الذي لم يقل به احد مقطوع ببنكارته، وهو مخالف للتواتر والاجماع وما ذكر في مصحف أبي لا يعتد به، ولا ينهض امام المتواتر واجماع الصحابة والامة.

هذه جملة اهم المآخذ الذي ينتقد الكتاب بسببها، لذا فاهم ما أُوصي به ها هنا:

اعادة ترتيب الكتاب وتبويبه وتحقيقه، وتنقيته من الدخيل والضعيف من الاثار والاحبار، والقصص والاسرائ依ليات، ثم اثبات ما يقع في دائرة التفسير وتوثيقه.

وفي الختام، هذا وصف عام لمنهج السيوطي في تفسيره "الدر المنثور" جاء في هذه الصفحات نزولا عند شروط البحث العلمي وقواعد النشر، وكنت آمل لو اتسع المقام لاكثر من هذا . لكن ارجو ان يكون في هذا القدر كفاية، والله الهادي الى سواء السبيل.

فهرس المصادر المراجع

الهوامش

- ١- ترجمته في : السيوطي: حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة ١: ٣٣٥، السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ: ٦ فما بعدها، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٨: ٥١، حاجي خليفة: كشف الظنون ٥: ٥٣٤، الشوكاني: البدر الطالع ١: ٣٢٨.
- ٢- ذكره حاجي خليفة للإمام السيوطي في خمسة مجلدات، كشف الظنون ١: ٣٩٧.
- ٣- ذكر المصدر السابق أن هذا التفسير شرح للتفسير الجامع المسمى تحرير الرواية وتقرير الدراية . ولم يظهر أثر لهذا التفسير بهذا الاسم . أنظر كشف الظنون، ٢/ ١٥٩٩.
- ٤- أنظر مقدمات التفاسير التالية : ابن عطية: المحرر الوجيز، ابن العربي: أحكام القرآن، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، أبو حيان: البحر المحيط.
- ٥- اعتمدت النسخة غير المرقمة.
- ٦- ليت الإمام السيوطي عقب على هذا الحديث بما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة" قال ابن حجر: أخرج ابن وهب في كتاب "الأهوال" عن عطاء بن يسار في قوله (وجمع الشمس والقمر) قال: يجتمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار. ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٦ ص ٢٩٩ فما بعدها.
- ٧- ومثل هذا ما ينقل عنهم رضي الله عنهم في أمور التشريع، وأسباب النزول وغيرها مما لا يعتمد فيه إلا على النقل عنه صلى الله عليه وسلم، وأما ما روي عنهم مما للرأي فيه مجال كاللغة مثلاً فشانهم في ذلك شأن من ساوهم.
- ٨- التفسير بالرأي: هو التفسير بالإجتهد وفق قواعد وشروط أهمها معرفة كلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفة الألفاظ العربية، والوقوف على دلالاتها ومقتضياتها، والعلم بأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والحديث والأصول.. وغيرها. السيوطي: الإتيان ٢: ١٨٠.
- ٩- ينقل عن السيوطي أنه سلفي العقيدة، الف كتاباً ذم فيه الكلام وأهله، سمّاه صون المنطق والكلام . تحقيق د . علي سامي النشار / نشر مجمع البحوث الإسلامية / القاهرة، وانظر الدر المنثور ٢: ٨.

١- القرآن الكريم.

- ٢- ابن الأثير الجزري: الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ) جامع

- ١- الأصول في أحاديث الرسول/تحقيق عبدالقادر أرناؤوط/١٣٨٩-١٩٦٩/مكتبة الحلواني - مكتبة دار البيان.
- ٢- ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (٧٢٩هـ) مقدمة في أصول التفسير ط٤: ١٣٩٩ - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة.
- ٣- ابن حجر العسقلاني: الإمام أحمد بن علي (٨٥٢هـ) - فتح الباري - بشرح صحيح البخاري / تحقيق الشيخ ابن باز / إدارات البحوث العلمية والإفتاء/الرياض.
- ٤- ابن خلكان - شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١هـ)-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق د. احسان عباس/١٣٧٩هـ-١٩٧٧م/ دار صادر بيروت.
- ٥- ابن العماد الحنبلي: المؤرخ أبو الفلاح عبدالحى (١٠٨٩هـ)-شذرات الذهب في أخبار من ذهب/المكتب التجاري للطباعة والنشر/بيروت.
- ٦- ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدالله (٥٤٣هـ)-أحكام القرآن/تحقيق محمد علي البيجاوي تصوير طبعة عيسى البابي الحلبي/دار الفكر-بيروت.
- ٧- ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل (٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم/عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة.
- ٨- أبو شهبة : د. محمد محمد . المدخل لدراسة القرآن الكريم/ط٣/١٤٠٧-١٩٨٧/دار اللواء . الرياض.
- ٩- خليفة : حاجي (١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / دار الفكر / بيروت.
- ١٠- خليفة : د. ابراهيم عبدالرحمن - الدخيل في التفسير/ ط١. ١٤٠٤-٢٩٨٤ / دار البيان / القاهرة.
- ١١- الذهبي : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ)-سير أعلام النبلاء/تحقيق شعيب الأرناؤوط/ط٢/١٩٨٥/مؤسسة الرسالة بيروت.
- ١٢- الزرقاني : الشيخ محمد عبدالعظيم . مناهل العرفان في علوم القرآن / ط٣ دار إحياء الكتب العربية/القاهرة.
- ١٣- الزركشي : الإمام بدر الدين محمد بن عبدالله (٧٩٤هـ)-البرهان في علوم القرآن/تحقيق أبو الفضل إبراهيم/ط٢-١٣٩١-١٩٧٢/عيسى البابي الحلبي . القاهرة.
- ١٤- السيوطي : الحافظ جلال الدين (٩١١هـ)
- ١٥- حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة - تحقيق أبو الفضل إبراهيم/ط١ ١٣٨٧/١٩٦٧ مصطفى البابي الحلبي وشركاه/القاهرة.

- مفعمات الأقران في مبهمات القرآن/تحقيق إياد خالد ط١: ١٤٠٦-١٩٨٦/مؤسسة الرسالة بيروت.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، وبهامشه تنوير المقباس لابن عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ذيل طبقات الحفاظ للذهبي - الذيل الأخير/دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الإتيان في علوم القرآن وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني / ط٣-١٣٧٠-١٩٥١/مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه-القاهرة.
- ١٦- الشوكاني : الإمام محمد بن علي (١٢٥٠هـ) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / دار المعرفة / بيروت.